تزامناً مع عدوان الاحتلال الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، ظهرت على مواقع التواصل أغانٍ لفرقة قديمة اسمها «الفجر». هذه الاستعادة، جعلت الفرقة تظهر من جديد، بعد غياب استمرّ 35 عاماً. هنا، وقفة عند «الفجر»

فرقة الفجر كالصخور والسنابل

محمد السيد الطناوي

عادت فرقة الفجر الفلسطينية إلى الغناء بعد غياب استمر 35 عاماً. بالتزامن مع عدوان الاحتلال الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، استُعيدت أغانيهم على مواقع التواصل الاجتماعي، ما حرّض أعضاء الفرقة على الظهور مجدداً، خصوصاً أن أغانيهم ارتبطت بالنضال ضد الاحتلال. على خشبة مسرح جمعية الثقافة والتعليم الأرثوذكسية في العاصمة الأردنية، أحيا أعضاء الفرقة الشهيرة، في فبراير/ شباط الماضي، ليلة تحت عنوان «لأجلك فلسطين»، قدموا خلالها أشهر أغانيهم، مثل «عنيد أنا كالصخور»، و«فلسطين يا بلدتي يا زينة البلدان»، و«بلادي حبك موالي»، و«سأقاوم»، وغيرها. في حين خصصت الفرقة عائدات الحفل للجهود الإغاثية في قطاع غزة. عن العودة المفاجئة بعد فترة التوقف الطويلة، قالت مغنية الفرقة الرئيسية، سيما كنعان، في مقابلةٍ أجرتها مع موقع معازف: «كل واحد منا يبحث عن فرصة، عن طريقة، لكي يعبّر عن مشاعره تجاه ما يحدث من مذابح في غزة وفلسطين إجمالا، وبالنسبة إليّ فإن صوتي أقوى سلاح أملكه، ويمكن أن يوصل ما أرغب فيه إلى قلوب الناس». في حين قال عازف الغيتار في الفرقة، بشار شموط، بتصريح أدلى به إلى التلفزيون العربي بخصوص الحفل: «بعد ثاني أو ثالث أغنية، أحسسنا براحة نفسية وتفاعلنا مع الجمهور، شعرنا أنه أصبح جزءاً منا، ونحن جزء منه. وهذا مريح كثيراً في الأداء الموسيقي، الإحساس واحد، فلم نكن بحاجة إلى بذل مجهود أكبر حتى يتجاوب الجمهور مع الأغاني والموسيقى، وكان بالفعل عرضاً جميلاً وممتعاً ولطيفاً».

الحفل الذي أقيم في الأردن ولاقى احتفاءً واسعاً، وقبله انتشار أغاني الفرقة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، حفّز كثيرين على البحث عن تاريخ الفرقة التي تأسست في الكويت عام 1987، بمبادرة من أعضائها الأربعة، وهم بشار شموط (عازف غيتار) وجميل سراج (عازف عود وغيتار) وسيما كنعان (مغنية) ونزار عليان (إيقاع).

تنوي الفرقة إعادة إنتاج البومها (فيسبوك)

عن تلك البدايات

في البداية، تعرفت سيما كنعان إلى جميل سراج الذي كان يغني في إحدى الفرق الطلابية الفلسطينية في الدولة الخليجية، وشجعها سراج على الالتحاق بالفرقة التابعة لاتحاد الطلبة الفلسطيني في جامعة الكويت (1982) لتنشط معه في إقامة الحفلات بالمناسبات الفلسطينية المختلفة. ومن خلال أمسية نظمها اتحاد طلبة الطب الفلسطيني في الجامعة، وأحيتها كنعان، تعرّف بشار شموط إليها، واتفقا على الأداء معاً في الحفلات المقبلة، لينضم إليهم عازف الإيقاع نزار عليان. ومنذ الحفل الأول، أعجب الجمهور بهذا المزيج البسيط الذي يُقدم لوناً موسيقياً هادئاً، لتضطر الفرقة إلى إعادة جميع الأغاني التي قدمتها تلك الليلة بناءً على طلب الجمهور. استطاع الثلاثي، مع رابعهم جميل سراج، أن يكوّن حضوراً مميزاً منذ البدء في عدد كبير من المهرجانات والفعاليات الفنية في كل من الكويت والعراق وألمانيا. فإلى جانب إحيائها عدداً من الحفلات في المناسبات المختلفة في الكويت، شاركت «الفجر» في مهرجان بابل الثقافي للأغنية والتراث في العراق في عام 1988، كممثل لمنظمة التحرير الفلسطينية، كذلك مثلت الفرقة وطنها في مهرجان برلين للأغنية السياسية في عام 1989.

اجتذبت «الفجر» جمهوراً واسعاً بموسيقاها التي ابتعدت عن صخب ثوري طبع كثيراً من الفرق الموسيقية الفلسطينية التي برزت في تلك الآونة، إذ اتسمت موسيقى الفرقة الفلسطينية بنبرة هادئة، في حين أعرضت تماماً عن إدخال أي آلات كهربائية ميزت موسيقى تلك الحقبة. واستغلت «الفجر» الحضور الفلسطيني الكبير في الكويت في فترة الثمانينيات، لتقيم كثيراً من الحفلات. كذلك أسبغ التميز على أغاني الفرقة انتشاراً واسعاً، وفي مقدمتها أغنية «عنيد أنا كالصخور»، التي أصبحت فيما بعد علامة مميزة تدل على الفرقة. عن تلك الأغنية، تقول كنعان: «هذا العمل في رأيي تشخيص لحال الإنسان الفلسطيني وتصوير لهويته وصموده ضد الاحتلال، في الوقت نفسه يبرز الجانب الإنساني لدى الفلسطيني، وهذا هو المعنى الأجمل الذي تقدمه هذه الأغنية، التوازن بين القوة التي يتصف بها الفلسطيني والإنسانية والسماحة التي لا تخلو منها خصاله». تشير كنعان إلى هذين العنصرين في الأغنية، والتناقض بينهما، وهو تدل عليه كلمات الأغنية التي كتبها الشاعر الفلسطيني الراحل، سميح القاسم. تقول القصيدة: «عنيد أنا.. كالصخور/ إذا حاولوا عصرها/ وقاسٍ أنا كالنسور/ إذا حاولوا قهرها/ وصلبٌ أنا كالجسور/ إذا أثقلوا ظهرها
وحين أثور/ تعيد البراكين لي سرّها!». ليأتي ذلك التناقض في المقطع الثاني من القصيدة: «ولكنني طيب كالسنابل/ إذا نشدوا خيرها!/ وسمح أنا كالخمائل/ ولو أتعبوا زهرها/ وعندي سخاء المعامل/ وبين أصابع كفي/ تسيل -إذا أسعفتني- جداول».

> ابتعدت أغاني الفرقة عن الصخب الذي طبع أغاني الثمانينيات
>
> أصدرت الفرقة ألبومها الوحيد خلال الانتفاضة الأولى

عن الأمنيات

أصدرت الفرقة ألبومها الوحيد خلال الانتفاضة الأولى في عام 1988، ومن بين أغانيه: «هلالاليا» و«عن إنسان» و«لقاء» و«فلسطين» و«عنيد أنا» و«عن الأمنيات» و«يما مواويل الهوى» و«ربما». جاءت أغاني الألبوم تعبيراً بليغاً عن الأجواء الثورية التي سادت في تلك الفترة، وهو ما اتسمت به كل تفاصيل العمل الفني، إذ تصدر الألبوم صورة الحجر الذي أمسك به حينها كل طفل فلسطيني يواجه به آلة الحرب الإسرائيلية الهمجية. تجربة تمثيل فلسطين في مهرجان برلين للأغنية السياسية في عام 1989 هي التجربة الأبرز في عمر الفرقة القصير، الذي لم يتعد العامين. وتتذكر كنعان المشاركة الواسعةً، في هذه الفعالية الدولية، التي شملت فنانين من جميع أنحاء العالم الاشتراكي وقتها. ورغم التنوع الكبير، إلا أن الجميع كان يحمل القيم نفسها، وهو ما أسرها.

أما شموط، فيذكر بدوره مدى التفاعل الكبير الذي حظيت به أغاني الفرقة، رغم بساطة اتسمت بها، فلم تضمّ غير العود والغيتار وإيقاع خشبي، وهو ما توافق مع رؤية أعضائها، إذ اتفقوا على التزام البساطة، سواء في اختيار آلات العزف أو الموسيقى المقدمة.

اقتصرت مشاركة الفرقة في الفعاليات الدولية على هذا المهرجان الدولي، حيث اضطر أعضاؤها إلى مغادرة الكويت بسبب نشوب حرب الخليج عام 1990، التي حجزت الفرقة عن إصدار الألبوم الثاني، فلم تتمكن الفرقة من تسجيله، ورغم قصر عمرها، إلا أن أغانيها عاشت طويلاً. كذلك قدمت «الفجر» أغاني لمختلف الفرق والمغنين، مثل: «العاشقين» و«صابرين» وأحمد قعبور وزينب شعت، إلى جانب أغاني الفولكلور الفلسطيني. استدعى عدوان الاحتلال الإسرائيلي الحالي على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة أغاني فرقة الفجر بقوة. ويرى شموط أن ذلك يرجع إلى سببين: الأول يعود إلى شركة إنتاج بريطانية يملكها شاب فلسطيني اسمه مؤمن سويطات، كان يبحث عن الأغاني الفلسطينية التي تعود إلى فترة السبعينيات والثمانينيات رغبةً في إعادة إحيائها، ليتواصل مؤمن مع أعضاء الفرقة منذ ما يزيد على السنة، طالباً منهم إنتاج أغانيهم القديمة على إسطوانة فينيل، وهو المشروع الذي أشرفت عليه مؤسسة مجاز للتراث. أما السبب الثاني، فيرى شموط أنه يعود إلى المأساة التي يعيشها قطاع غزة، إذ إن أغانيهم تتماس بقوة مع ما يحدث اليوم في فلسطين. يحلم أعضاء فرقة الفجر بعد عودتهم إلى الغناء بأن يقيموا حفلات لهم يوماً ما في القدس، باعتبارها رمزية لكل فلسطين، للقضية الأكثر عدالة في عالم اليوم، كما يرى شموط، بينما يطمح جميل سراج إلى أن يعزف يوماً في غزة، حيث منشأه الأول.

شيريل كرو... خروج ضروري من زمنٍ مضى

علي موره لي

اشتُهرت المغنية الأميركية شيريل كرو (Sheryl Crow) بإجادتها الترحال بين ثلاثة اتجاهات غنائية متقاربة؛ مما يعدّ وجوهاً متعددة لثقافة أميركية غربية واحدة، ظلّت مُهيمنة على الموسيقى الجماهيرية لثلاثة عقود مضت، ألا وهي الروك والكونتري والبوب. على الرغم من تصريح سابق لها بأن ألبوم Threads إصدار عام 2019 سيكون الأخير، فاجأت معجبيها (معظمهم من جيل التسعينيات)، بألبوم طُرح آخر الشهر الماضي يحمل عنوان Evolution، يتألف من عشرة تراكات، هي مجموعة أغانٍ مفردة سجلتها كرو تباعاً على مدى الأعوام الأربعة الماضية. إن دلّ عنوان الألبوم على شيء يربطه بمضمونه، ربما أن كرو تُسمع كمن يُقرّ بضرورة الخروج من أمجاد عصرها الذهبي، والانفتاح على ذائقة جديدة، مع الحرص قدر الإمكان على التمسك بهويتها الموسيقية. تطلّب ذلك التوازن التعاون مع منتج موسيقي يصغرها بنحو عقد، حائز جائزة غرامي، هو مايك إيليزوندو (Mike Elizondo)، علّه يُنشئ حلقة وصل جيليّة، فيأتي بعناصر موسيقية تواكب العشرية الثانية من القرن الحالي، لجهة توظيف التطبيقات الرقمية في إنتاج المؤثرات الإلكترونية، واعتماد النماذج المينيمالية في التصميم الصوتي والتوزيع الآلي.

Alarm Clock أول تراكات الألبوم. بأسلوب الهارد الروك، تُسمع الثيمة المُميّزة للأغنية، أي ما يُعرف بمصطلح ريفس (Riffs)، تُعزف على غيتار كهربائي مشوّش صوته، مصاحبٌ بتصفيق أكف، ثم تكسوهما الطبول يرافقها غيتار الباص. يدخل الغناء منظوماً على نغمة متواترة شبه وحيدة. تسطع الموسيقى عند القنطرة، بفعل انسجامات هارمونية أشدّ دفئاً وأكثر تلوّناً، تواؤماً مع المعنى، حين تردد كرو: «إنها لحياة جميلة».

Digging in the Dirt إعادة تقديم أغنية تعود إلى فنان آخر (Cover)، هو نجم البوب البريطاني زمنَ التسعينيات بيتر غابرييل. لئن حُوفظ على «ريفس» الأغنية كما هو، إلا أن طبول الدرامز جرى استبدالها بدَبْكٍ مصمّم إلكترونياً يقترب، وإن بنكهة عصرية، من الموسيقى الريفية الأميركية (Country) التي تشكل رافداً رئيسياً لشخصية كرو الفنية. أما الغناء، فيدخل مُركّباً بالوسائل الرقمية، يحمل عند الكورس طابعاً غزليّاً تحذيريّاً وتوبيخيّاً، وإن بنبرة لا تخلو من دعابة، حيث يتم التكرار: «هذه المرة تخطّيت حدودك بعيداً، لقد قلت لك».

> تسعى كرو إلى الانفتاح على ذائقة جديدة مُحافظةً على هويتها

تحضر ثيمة السفر في السيارة والترحال في أغنيتين (باراس غريفين / Getty)

Do it Again تنتمي إلى فئة من الروك اقترنت بأجواء السفر في السيارة وقطعها المسافات الشاسعة، لما للسيارة، بوصفها وسيلة النقل الرئيسة، من قيمة مركزية في الثقافة وطريقة الحياة الأميركية، تقترب من رمزية الفَرَس لدى راعي البقر. لذا، فإن تلك الفئة، وتُسمّى روك القيادة (Driving Rock) الريفس فيها بَشوْش وحيوي، وقرع طبل حماسي، مع الحفاظ على إيقاع ثابت رتيب يحاكي قيادة السيارة على طرق السفر السريعة في طول الولايات المتحدة وعرضها، حيث تتقاطر المناظر الطبيعية وتتوالى في مشهدية تنميطية، كثيراً ما ارتبطت بالسينما الهوليودية.

كما وتتسرب ثيمة السيارة إلى الأغنية التالية، Love Life. يُسمع صدى محرك في خلفية المقدمة عبر مؤثرات إلكترونية توحي بسباقات فورمولا 1. تستمر التصاميم الصوتية بزركشة خلفية الأغنية الميّالة لنمط «الفانك روك»، الخفيف والمرح، من دون الخروج عن إطاريّ الهاردروك والكونتري المُحددين لهوية شيريل كرو الموسيقية. لعل اختيار الفانك، جاء تعبيراً عن المضمون الإيروسي لحبّ الحياة. في أسلوب الغناء، ولأجل تعزيز النضارة المتّسقة مع الفانك، تُستلهم أيقونة موسيقى الآر أند بي (R&B) الأميركية المغني ستيفي وندر. في You Can´t Change the Weather، حوارٌ أسلوبي بين الأغنية من دون تكبير (Unplugged)، وتُسمع فيها آلات الغيتار بأصواتها الطبيعية، فتستمر نكهة الفانك الخفيفة المرحة، وصخب أغنية الروك، حين تشتد الموسيقى عند الكورس ويعود التكبير، بنيّة توكيد الأمثولة التي اتخذت الأغنية منها عنواناً مجازياً، يدلّ على مصاعب الحياة العاطفية بأطوارها وتقلّباتها: «إنك لا تستطيع تغيير الطقس. إنك لا تستطيع إيقاف المطر»، فيما يبقى كل ما يستطيع الحبيبان فعله، هو العمل معاً «على إيقاف الألم».

Where أغنية ذاتية الطابع تتميّز بسلّم من انسجامات هارمونية شاعرية يتجه نزولاً، يصدر عن غيتار أكوستي تمهيداً لدخول غناءٍ خافتٍ، يُسمع حميميّاً على مقربة دافئة من الميكروفون، ليتناهى بوحاً هامساً. يعكس كل من التأليف الموسيقي والأداء الغنائي الطابع الشعري للكلمات والصّور الرمزية التي تنقلها التساؤلات على مدار الأبيات على شكل أينيّات: «أين تذهب الموجة حين تصطدم الشواطئ، أين يمكن لنا أن نغدو أحراراً؟ وهل يعني أن نكون أحراراً، أن نتعلم ألا نكترث؟».

يتخذ الألبوم مساراً باتجاه الرومانسية، بالتدرّج من صخب الروك وعنفوانه، إلى حساسية البوب الشاعري أو ما يُعرف اصطلاحاً «بالاد» (Ballad). تشبه Don´t Walk Away في شكلها وأسلوب أدائها أغاني المسرح الغنائي لديزني (Musical). من خلال نبض الأكوردات، أي انسجامات النغمات حين تُعزف معاً، تُسمع آلة البيانو، ذات الدور المحوري في البالاد، كما تُسمع مجاميع الوتريات في الخلفية وهي تؤدي خطوطاً لحنية شجيّة تزيد من المزاج الرومانسي.